انحرافات فكرية[1]

ليس كل ما تسمعه أو تقرأه في المجلات والكتب نقيًا نقاوة تامة، إنما تشوب بعضه انحرافات فكرية أحيانًا. هذه الانحرافات هي ما نريد انقاذك منه في هذا الباب.

هل نرسل بعثات من الرهبان؟!

"قرأنا في صحيفة قبطية أملًا من آمال بعض الغيورين في إرسال بعثات إلى الخارج من الرهبان الجامعيين.. ونود هنا أن نبحث هذا الموضوع من بعض النواحي الهامة".

+ كيف يستطيع راهب (يا أخي الكريم) – أن يترك ديره ويجول في بلاد الغرب؟ إن كنا نعتبرها معثرة له أن يسير في شوارع القاهرة، فكم بالأولى إذن في تلك البلاد الغريبة؟ إن الراهب شخص مات عن العالم. ومن الخير له ألا يرجع إلى العالم مرة أخرى.

+ ثم ما هي تلك البلاد المتفقة معنا مذهبًا، والتي تريد أن نرسل إليها بعثة من الرهبان؟ إن كنيستنا كانت قائدة العالم في التعليم الكنسي، وما زالت حتى الآن تحتفظ بتراث الآباء بغير تغيير. ويخيل إلى أن عصور الاحتلال المختلفة التي مرت بمصر هي التي جعلتنا ننظر إلى الأجنبي نظرة كبيرة في كل شيء، دون بحث. حتى أن وكيل المجلس الملي منذ سنوات أراد أن يعين رجلًا بروتستانتيًا اسمه المستر باري للتدريس في الإكليريكية لأنه "مستر".

من قال لك يا سيدي أن الأجانب أعلم منا بأمور الدين؟ إنهم حقًا نالوا شأوًا بعيدًا في نواح أخرى من العلم. أما عن العلوم الكنسية فقد اتصلنا بكثير من رجال الدين الأجانب وناقشناهم فوجدنا عندهم فراغًا كبيرًا في المعرفة الدينية الحقة.

+ ولماذا لا يقبع الراهب في ديره ويعكف على الدراسة والتعمق في الروح والمعرفة مستعينًا بما لديه من كتب الآباء، وبما يحتاجه من كتب أخرى، خاصة ونحن في عهد سجل فيه أغلب المفكرين آراءهم في الكتب؟

+ أمر آخر أريد أن ابحثه في هذا الموضوع وهو "ما هو هدف الراهب من الرهبنة".

نعرف من تاريخ الآباء القديسين أنهم كانوا يترهبون بقصد التعبد، والتفرغ للإلهيات، والتأمل فيما هو وراء العالم والمادة والمرئيات، والتعمق في الروح ومعرفة الله والثبات فيه، والنمو في الفضيلة والنعمة حتى صار أولئك الآباء صورة مُثلى للمسيحية الحقة، يكفي الكنيسة منهم مجرد صلاتهم والتبرك بهم ونوال نصحهم وإرشادهم. ولكننا الآن في عهد لا نعترف فيه كثيرًا بالروحيات ولا بأهمية الصلاة، ونرى أن الراهب إن لم يترك الدير وينزل ليخدم مع العلمانيين كالعلمانيين فهو شخص خامل وعضو أشل! أليس هذا انحرافًا يا سيدي عن آراء الآباء في الرهبنة؟ أو ليس هذا أيضًا اتخاذًا للرهبنة كسلم يؤدي إلى المناصب؟ على الراهب أن يكون غرضه التعبد، أما إذا اختاره الله، والله وحده، لخدمة معينة فلتكن إذن مشيئته السيد الرب.

---

[1] نظير جيد "انحرافات فكرية"، مجلة مدارس الأحد، السنة الخامسة، العدد الرابع، مايو ١٩٥١م.

+ ثم أن خدمة الكنيسة لم تكن في يوم من الأيام محتاجة إلى تضلع في العلم بقدر احتياجها إلى قلوب تحب الله والناس وتشتاق إلى كل عمل صالح، قلوب منزهة عن النفع والغرض. لم يكن الرسل القديسون وتلاميذهم فلاسفة وإنما كانوا كما يقول الكتاب: "فَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مِنَ الْفَرَحِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع١٣: ٥٢). إن أردت يا سيدي خدمة حقة فابحث عن هذا الأمر أولًا. ثم اكتف به لأن الروح "يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ" (يو١٤: ٢٦)، "الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ" (١كو٢: ١٠).

+ تحضرني في بهذه المناسبة قصة القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك الذي رآه أحدهم يتعلم من راهب أمي فتعجب من هذا فقال القديس عن نفسه "إن أرسانيوس الذي درس علوم اليونان والرومان لا يعرف الألفا فيتا التي يعرفها هذا الراهب الأمي".

+ بقيت كلمة أخيرة لا أريد أن أتركها بدون تعليق وهي كلمة "الجامعيين" إن كنت يا سيدي تقصد الجامعيين على اعتبار أنهم أقدر على تفهم اللغات الأجنبية من غيرهم نستطيع أن نقول إنك وضعت هذه الملمة في بساطة، أما إذا كان التعليم الجامعي جوهريا في نظرك فإننا نختلف في الرأي إلى أبعد حد. فمع اعترافنا بأن المتعلم خير من الجاهل، إلا أننا نقول إن العلم وحده ينفخ. والعلم الذي لا يأتي من فوق هو علم باطل، وليس الجامعيون شيئًا إن لم يعمل الله فيهم، إن لم يبن الرب البيت فباطل تعب البنانين. فابحثوا في كل شيء عن الروح أولًا.